

## رؤية الفكر الاعتدالي للحضارتين الصينية والعربية من خلال التراجم الصينية

### ■ جين تشونغ جيه

على مدى الزمن البعيد وكل نظام حضاري يتبع طريق «ترجمة الكتب الدينية»، وذلك من أجل زيادة معرفة الحضارات ببعضها البعض وتوثيق العلاقات والثقة المتبادلة. المنظومان الحضاريان، الصيني والعربي، قاما بتبادل ترجمة وتفسير أعظم الكتب في كلتا الحضارتين، وهما «حوار الكونفشيوس» و«كتاب الطاوية» بالحضارة الصينية، و«القرآن الكريم» و«الحديث الشريف» بالحضارة العربية الإسلامية، وبذلك كانت الحضارتان بمثابة شاهد عميق على التواصل والتبادل فيما بينهما.

بعد انتشار الإسلام - الذي بدأ في شبه الجزيرة العربية - بالصين، حمل الوسط الأكاديمي لمسلمي الصين على عاتقه الفكر الاعتدالي الوسطي في الدين الإسلامي، فطوروا النشاط الأكاديمي لترجمة وتفسير الكتب الدينية، وشرحوا المغزى الديني واندماجه مع التطبيقات الاجتماعية، ووضحوا كيف الدين الإسلامي مع المجتمع الصيني، وفي النهاية أكملوا عملية تنظير هذا الدين.

■ أكاديمي ونائب الرئيس التنفيذي للمعهد الأكاديمي الصيني لدراسات الدول العربية ونائب العميد التنفيذي لكلية الدراسات العربية بجامعة نينغشيا، الصين.

## أولاً: ترجمة الكتب الدينية هي الأساس الأكاديمي للفكر الاعتدالي لمسلمي الصين

الحضارة الإسلامية أساسها القرآن الكريم والحديث الشريف، فهي تعتمد على علوم القرآن، وعلوم التفسير، والحديث، والعقيدة، والشريعة، وعلم التصوف، وغيرها من العلوم الجوهرية، وقد انتقت تدريجياً بعض الثقافات الأجنبية؛ مثل الفلسفة اليونانية، والسياسة الرومانية، والفنون الفارسية والرياضيات الهندية، بالإضافة إلى اختراعات الصين الأربعة العظيمة وغيرها من الثقافات، وقد طورت هذه الحضارة ووسعت من مختلف المجالات العلمية مثل العلوم الإنسانية والاجتماعية والهندسة والطب والزراعة وغيرها؛ حتى شكلت ثقافة متميزة وشاملة متكاملة.

بعد دخول الإسلام الصين تمّ تفسير العديد من جوهر الكتب الدينية بما فيها القرآن الكريم والحديث الشريف، والتي أصبحت أساس الدين الإسلامي بالصين. أثناء قيام علماء الإسلام بنقل الثقافة الصينية التزموا بالعمل على بناء الثقافة الإسلامية الصينية. وفقاً لمتطلبات وطريقة ترجمة الكتب الدينية، قاموا بترجمة «تفسير القرآن الكريم» وهو من ناحية علم التفسير تضمن العقيدة والفقه والفلسفة واللغة والتاريخ والصوفية وغيرها، أما بالنسبة لـ«فهم الإسلام» فهو يركّز على المغزى الثقافي، من حيث فهم وبحث العلوم الإنسانية والطبيعية مثل العلوم الإنسانية والاجتماعية والدينية والنفسية والاقتصادية والفضائية والجغرافية والبيولوجية، مما شكّل سلسلة تفسير للعلوم والثقافة موحدة داخلياً ومتناسقة خارجياً، وهذا كله ألهم المسلمين الصينيين لتحفيز ودعم الثقافة الإسلامية وعملية بنائها، ودمجها مع الثقافة الصينية ومجتمعها. مثل العالم الكبير من أسرة تشينغ السيد ليو تشي (1655 - 1745) وعملية «تيان فانغ ديان لي» (آداب الإسلام) و«تيان فانغ سينغ لي» (الطبيعة في الإسلام)، وهما نموذجان لقراءة وتمشيط جوهر الكتب الدينية، ويُعدُّ مؤلفهما من الأعمال الثقافية الصينية البارزة. من الملف العربي المرفق مع «تيان فانغ ديان لي» يمكن إدراك أن الكاتب بعد أن قرأ وفهم المصادر والمراجع الإسلامية بعمق قام بإبراز عظمة الدين الإسلامي، وشرح لغة الإسلام؛ حتى يستطيع أن يفهمها الصينيون.

## ثانياً: تفسير الكتب الدينية هي عملية تنظير الفكر الوسطي لمسلمي الصين

بعد دخول الإسلام الصين - ومن أجل التكيف مع الثقافة والمجتمع الصيني - قام علماء الإسلام الصينيون بقيادة المسلمين الصينيين لاتباع قانون الصين واحترام مبادئه، وتخطيط العادات اليومية، والحفاظ على اعتدال المجتمع، ودمجه مع العادات الثقافية الصينية، من خلال الأنشطة العلمية لتفسير الكتب الدينية، وقد دفعوا بالفعل باتجاه تكيف الإسلام مع ثقافة المجتمع الصيني.

بعد دخول الإسلام الصين  
قام علماء الإسلام  
الصينيون بقيادة المسلمين  
الصينيين لاتباع قانون  
الصين واحترام مبادئه،  
وتخطيط العادات اليومية،  
والحفاظ على اعتدال  
المجتمع، ودمجه مع  
العادات الثقافية الصينية.

في أثناء عملية تنظير الإسلام في الصين تمّ التنسيق والتناغم بينهم، فمع أن الثقافتين الصينية والإسلامية مختلفتان لم يحدث بينهما تناقض؛ وذلك لأن كليهما يتميزان بالتسامح، فعلى جميع المستويات كانتا تتبادلان المبادئ المشتركة؛ مثل الحق، والعدل، والتثقيف، والتعليم، والاعتدال، وبرّ الوالدين، والخير والشر، والأخلاق، وحب الوطن، وغيرها من المبادئ التي ارتضتها الحضارة الإنسانية، وظهرت آلية الابتكار الثقافية، فمن أسلوب «تفسير الكتب الإسلامية بالأفكار

الكونفشيوسية المناسبة للأفكار الإسلامية» و«تفسير الأفكار الكونفشيوسية بالأفكار الإسلامية المناسبة للأفكار الكونفشيوسية» حصل الإسلام الصيني على إقرار نخبة الطبقة الثقافية الصينية تجاه الثقافة الإسلامية، وأنهت ببراعة إدماج الثقافة الإسلامية مع الصينية في الصين، وحققت تنظير الدين الإسلامي، بالإضافة إلى أنها حافظت على مبادئ الإسلام الأساسية.

وفقاً للروح الثقافية والطريق الوسطي التي تتأسس على التنظير، المسلمون الصينيون يتفلسون روح الوطنية والمصير المشترك. حينما شرح الإمام تعاليم الإسلام بالمسجد أصبح القرآن الكريم محفوراً بعمق في قلوب الصينيين، مثل: «حب الوطن هو جزء من العبادة» وغيرها من الجوانب

الدينية. قام الإمام الشهير سونغ شان (سعد الدين 1880 - 1955م) في فترة الحرب ضد اليابان بتسجيل معاناة المسلمين الصينيين، وعكس التشخيص الواقعي وحب الوطن والدين. في أثناء تحقيق حلم جمهورية الصين العظيم قام علماء الإسلام الصينيون - بوصفهم من أركان الحضارة الصينية - بالمحافظة على شريان الثقافة للنظام الحضاري الصيني ومسيرة احتياجات الزمن، والشرح الصحيح للقرآن والحديث، واتباع اتجاه سير المجتمع وإطلاق العنان لترجمة وتفسير الكتب الدينية، التطوير والتجديد الدائم من روحهم، وتسليط الضوء على الإنجازات الإنسانية ووعي مسلمي الصين المعاصرين، وعكس روحهم ودورهم في توحيد وحماية الدولة واستقرار المجتمع والتعليم والتثقيف وعملية تطوير الاقتصاد والمجتمع.

### ثالثاً: ترجمة وتفسير الكتب الدينية هي العنصر الرئيس في التوصل للفكر الوسطي والاعتدالي بين حضارتي الصين والدول العربية

على مستوى الإنسانية عامة وفي الحضارتين الصينية والعربية خاصة، المحافظة على الإنسان مهما تعددت العرقيات والأديان والثقافات والحضارات، وما يتبع ذلك من تنوع ثقافي وحضاري. والشاهد على ذلك من القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، فهذه الآية ترسخ المحور الأساسي الثقافي للحضارة العربية، ويتمثل في التفاهم والتسامح والاعتراف والتواصل والتأثير مع الحضارات الأخرى، ومن أجل سعي الحضارات وراء المعرفة والثقافة. فقولته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يفيد المساواة، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ بمعنى خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ بمعنى جعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضاً نسباً بعيداً، وبعضكم يناسب بعضاً نسباً قريباً، ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ بمعنى ليعرف بعضكم بعضاً في النسب.

لذلك يجب على الحضارات تبادل المعرفة، والتسامح، والاعتراف، والدراسة، والتواصل، والتأثير والحب والتزواج ويجب عليهم ألا يتبادلوا

الإقصاء والعداء والعنصرية والحروب لأن كل تبادل يحدث بين الحضارات يكون له تأثير واسع المدى وجلي الوضوح، فالحضارة الإسلامية قد تأثرت كثيراً بالحضارة اليونانية، وفي الوقت نفسه أثرت الحضارة الإسلامية كثيراً في الحضارة الحديثة.

تبادل الحضارتين الصينية والعربية ظهر في القول العربي القديم: «اطلبوا العلم ولو في الصين»، من خلاله يوجد ثلاث حقائق لا يمكن تجاهلها: أولاً: «اطلبوا العلم ولو في الصين» كأنها تشير إلى الحضارة الصينية؛ ولكنها في الحقيقة تعكس مبادرة علماء الإسلام العرب بتبادل العلم

**على مستوى الإنسانية عامة وفي الحضارتين الصينية والعربية خاصة، المحافظة على الإنسان مهما تعددت العرقيات والأديان، والثقافات والحضارات، وما يتبع ذلك من تنوع ثقافي وحضاري.**

مع الحضارات الأخرى كافة. ثانياً: الصين هي دولة قديمة ذات حضارة حكيمة تقود إلى التطور، لذلك سعى علماء الإسلام العرب لدراسة حكمة الصين وثقافتها وعلمها التكنولوجي، ومن جانب آخر وضع سعي علماء الإسلام العرب وراء دراسة العلوم المتقدمة، وعدم اكتفائهم بدراسة المبادئ والمعارف الدينية فقط. ثالثاً: الصين هي دولة حضارية قديمة لديها حكمة وثقافة وتكنولوجيا متقدمة، لذلك يجب على المسلمين العرب التوجه إلى الصين من أجل دراسة هذه المعارف.

بدأ في عصر أسرة تانغ (عام 651) إرسال بعثات للدراسة بالصين، بدأت منذ الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وحتى يومنا هذا، وقد سار العرب - دبلوماسيين وثقافيين - على طول طريق الحرير القديم سعياً وراء المثالية العظمى للتبادل الحضاري والثقافي، وقد استمرت أكثر من ألف عام في التواصل التاريخي والثقافي على جميع المستويات حتى بدأت مرحلة تاريخية جديدة تظهر تحقيق كل من الحضارة الصينية والعربية والأمة الصينية والعربية حلمهم ومستقبلهم المشرق، وقد ألقى الرئيس الصيني شي جين بينغ في 21 يناير عام 2016 في مقر جامعة الدول العربية كلمة بعنوان: «التشارك في خلق مستقبل أفضل للعلاقات الصينية العربية». وفيما يلي جزء من النص:



«تتميز الحضارات بالطابع التنوعي، شأنها في ذلك شأن الأحياء في الطبيعة التي تتمتع بالطابع التعددي، وكان هذا الطابع التعددي - جنباً إلى جنب مع أصحابه - قد شكّل الحياة الأصيلة في كوكبنا هذا. وإن الشرق الأوسط - بوصفه منطقة التلاقي للحضارات العريقة للإنسان - تحتضن حضارات وثقافات باهرة ومتنوعة. ستواصل الصين دعمها الثابت دون تزعزع لجهود دول الشرق الأوسط والدول العربية في الحفاظ على ثقافتها وتقاليدھا الأصيلة، وترفض التمييز والتحيز بأي شكلٍ من الأشكال بحق عرق أو دين بعينه. لكل من الحضارة الصينية والحضارة العربية خصوصياتھا ومنظومتھا، غير أن كليهما تحتويان على مفاهيم ومساعٍ مشتركة جاءت متراكمة في مسيرة التقدم والتطور للبشرية، وكلتاهما تؤمن بقيم الوسطية والوئام والسلام والوفاء والتسامح والانضباط الذاتي. فيجب علينا إجراء الحوار بين الحضارتين والبحث على قبول الغير والاستفادة المتبادلة، والعمل سوياً على إحياء مزيد من القيم الإيجابية الواردة في ثقافتنا وتقاليدنا القومية الأصيلة التي تتماشى مع عصرنا اليوم.